الظاهرة الرياضية واللاعنف:

حقيقة أم وهم؟

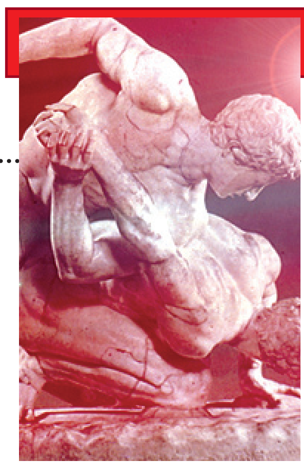

أخذت الظاهرة الرياضية في الأزمنة المعاصرة أبعادا فردية وجماعية محليا ودوليا جعلتها مثار إعجاب وكذلك مثار مشاكل وتساؤلات . فالألعاب الرياضية التنافسية ، مثلا قد شكلت منذ مدة مجالا لتضارب المطامح والتطلعات الأخلاقية والإنسانية من جهة، ومجالا لجدلية التثمين / النقد داخل الأوساط الاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية . ومادامت الرياضة التنافسية قد صارت شأنا إنسانيا كوكبيا في كثير من تظاهراتها . فإن مقاصدها البعيدة المتمثلة في الإمتاع وخدمة قيم إنسانية مفترضة مثل دعم علاقات السلام والإخاء واللاعنف بين الأقوام والشعوب تحتاج منا إلى وقفة تأمل.

قراءة في رواية صنع الله إبراهيم

«العمامة والقبعة»: زمن الغزو

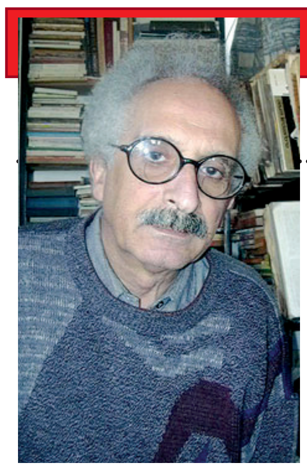

«العمامة والقبعة» أحدث ما أصدره الكاتب الكبير صنع الله إبراهيم في مجال الرواية. وإذا كانت أحداثها تعود بنا إلى مصر زمن الحملة الفرنسية، فإنها تحيل في عمقها عل واقع اليوم. فهي، إذن، مرآة أخرى تعكس حال العرب في علاقته بالآخر.

القراءة، التي نقدمها اليوم هي لأحد الكتاب البارزين في مصر، أحمد الخميسي، المعروف بعمق رؤيته الروائية.

وفي هذه القراءة نقرأ مع الكاتب أن الرواية ليست فقط أحداثا وشخصيات، بل هي كذلك مناسبة لكشف الأشياء المبطنة في السلوكات المؤسساتية من جهة، وفي سلوكات الإنسان اليومية من جهة أخرى.

ملتقى الفكر

الأحداث المغربية

12

■ العدد : 3407

■ الجمعة 6 يونيو 2008

• 6 Juin 2008

الفيلسوف النمساوي «هانس كوشلر» لـ «الأحداث المغربية»

تجاوز «الخطر الإسلاموي» رهين بتعدد الثقافات في الغرب

حل الفيلسوف النمساوي «هانس كوشلر» بالمغرب منذ ما يزيد عن أسبوعين، حيث ألقى محاضرة بعنوان «الشرق والغرب: حوار أو حرب؟» بكلية العلوم - جامعة الحسن الثاني عين الشق بالدار البيضاء. التقيناه بعد هذه المحاضرة وأجرينا معه هذا الحوار، الذي يتحدث فيه عن أسباب الصراع الراهن بين «الشرق» و«الغرب» وشروط قيام حوار حقيقي بينهما. وهي شروط يجملها الفيلسوف في ضرورة حل المشكلة الفلسطينية والتخلي عن السياسات الاستعمارية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط وكفالة حقوق المهاجرين في أوربا، خاصة المسلمين، إلخ.

■ أضحى الحديث اليوم عن العلاقة بين «الشرق» و«الغرب» مستفيضا استنفدته جميع المجالات الفكرية والفلسفية. غير أن الحديث لم ينتقد، إلا نادرا، تصنيف العالم إلى كتلتين مختلفتين ومتنافرتين. ألا ترى أن في هذا التصنيف كثيرا من التزييف الإيديولوجي؟ في رأيك، كيف يمكن توضيح هذا الأمر وفهمه؟

■■ أعتقد أن المفهومين معا عامان يستعملان لوصف بعض السلوكات وأنماط العيش ونظم القيمة، إلخ. ففي المستويات المختلفة لرؤية العالم، ينبغي التمييز بين الحضارة المسيحية والحضارة الغربية في جوانب عديدة، حيث تكتسي الحضارة الغربية خصوصيات علمانية، بل إن الكثيرين ينأون اليوم بأنفسهم عن الدين المسيحي والإرث المسيحي والطابع الديني لأوربا. أما بالنسبة للشرق، فقد استعمل الغربيون، في البداية، هذا المصطلح لتحديد منطقة جغرافية؛ أي وصف الجانب الشرقي من الأرض، الذي كانوا يرونه عالما غريبا ومغايرا يهدد مصالحهم. وفي هذا العالم، لا يشكل الإسلام الكيان الوحيد، بل هناك كيانات أخرى منها المسيحية بالطبع. ومن هنا، فالمصطلحان غامضان وعامان. لكن ما حدث في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين هو ارتكاب خطأ تصنيف العالم إلى كتلتين تماما كما كان الشأن خلال فترة المعسكرين الأمريكي الأوربي بإيديولوجيته الرأسمالية، والسوفياتي بإيديولوجيته الاشتراكية. الآن، اندثرت هذه الثنائية، لكن برزت إلى الوجود ثنائية أخرى أساسها حضاري.

■ هناك من يقول إن الصراع الراهن يعود إلى أحداث 11 شتنبر 2001، وأصبغ عليه صبغة صراع الحضارات. غير أن العودة إلى التاريخ تفيدنا أن الصراع بين «الشرق» و«الغرب» قديم جدا اشتعل في كل مرة تحت ذرائع مختلفة. ألا يمكن القول إن الحروب التي تخاض اليوم هي استمرار لهذا التاريخ الدموي بذريعة جديدة هي ذريعة الحضارة أو ما سمي بـ«المهمة الحضارية»؟

■■ نعم. هناك تاريخ طويل يتحدث عن لقاءات وصراعات بين العالم الغربي والعالم الشرقي، خاصة العربي الإسلامي. فبالنسبة لنا في أوربا، لا زلنا نذكر الوضعيات التي كانت سائدة خلال القرون الوسطى بحروبها الصليبية وتوسع الإمبراطورية العثمانية، التي بلغت أبواب فيينا في مناسبتين، حيث خيضت صراعات ومعارك دامية وعنيفة. وفي الآن ذاته، اعتقدنا، على الأقل بعد الحرب العالمية الثانية وفي سياق محاربة الاستعمار، أننا تجاوزنا هذا التراث الحربي. لكننا نعيش مرحلة صراع وتهميش جديدة نتيجة السياسات والمواقف الغربية المتخذة تجاه فلسطين. أعتقد أن ما يحدث الآن هو حرب صليبية جديدة... للأسف!

■ هل ترى أن مشكلة فلسطين هي السبب الوحيد لاستمرار العنف وسفك الدماء؟

■■ لا أرى أنها السبب الوحيد، لكن أعتبره السبب الرئيس لأن شعب فلسطين طرد بالقوة سنة 1948، أي بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبح الآن ملحقا بدولة إسرائيل. فالفهم السيء والشعور السلبي السائدان الآن في كل البلدان العربية الإسلامية نابعان أساسا من هذا الموقف السلبي تجاه القضية الفلسطينية لأن الدول الغربية ظلت، ولا زالت، تحابي إسرائيل وتضمن وجودها واستمرارها.

■ ألا يمكن القول إنها تحابي إسرائيل لأنها حليف أساسي في «محور الخير» في مواجهة «محور الشر». فضلا عن هذا، أليس بمقدورنا تجاوز هذين المحورين؟

■■ في رأيي، على الدول المستقلة أن ترفض التفاعل مع هذا البديل رفضا مطلقا لأن قبولها به يتعارض مع سيادتها. فالدول مطالبة بتسيير أمورها الخارجية حسب مصالحها الاقتصادية، وحسب رغبتها في الحفاظ على استقلاليتها وسيادتها داخل المجتمع الدولي، وليست مرغمة على الانصياع للخيار الأمريكي. والأمر ذاته ينطبق على الأفراد والمجتمع المدني كذلك، إذ لا ينبغي أن يولوا أهمية لهذه المحاولة الرامية إلى التحكم في الرأي العام، وهذا القمع الممارس على الطبقة المثقفة، التي ينبغي أن تفكر فيما يجب أن يكون عليه الرئيس أو الزعيم أو الحاكم، إلخ.

■ ألا ترى أن هذا هو جوهر أسباب الصراع؟ هل يمكن أن نعتبر أن رفض «القيم» التي يبشر بها «الغرب» في «الشرق» هو مصدر النزاع؟

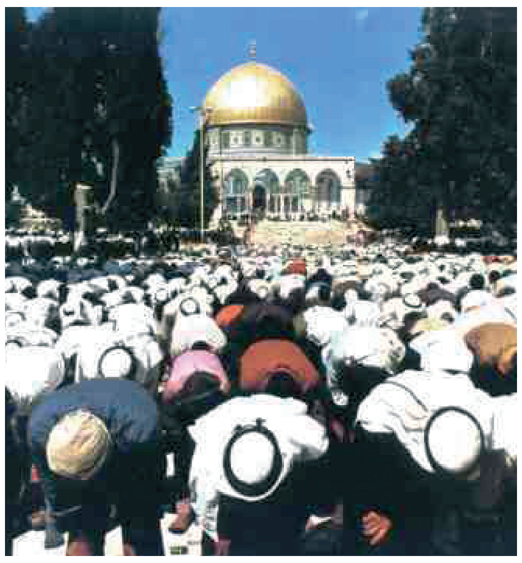

حرية الاعتقاد والممارسة الدينية أصبحت اليوم إشكالا حقيقيا يغذي تيارات التطرف الديني

■■ في نظري، أحد أسباب هذا الصراع كامن في الاستراتيجية الغربية، خاصة الأمريكية، لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط وإعادة تعريف الإسلام وفق فهم الغربيين لمفاهيم حقوق الإنسان والديمقراطية والدين، إلخ. وما يجعل الوضع مأساويا أكثر هو أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تقوم بهذا عن طريق الدعاية الإعلامية فحسب، بل أيضا باستعمال القوة المسلحة، أي عن طريق الحرب واحتلال الدول وخلع القيادات والأنظمة وتنصيب أصدقائها. ومن هنا، تكون المقاومة مشروعة إذا كان تغيير الأنظمة وقيم الشعوب مفروضا من الخارج، حيث التغيير، كما شهدته جميع الحضارات، يكون من داخل الدول. أنا أخشى اليوم أن نواجه خطرا دائما إذا لم تغير الولايات المتحدة الأمريكية سلوكها المتعجرف، وأن نواجه صراعا طويلا، إذا لم تنح أمريكا منحى آخر.

■ كيف تستقرئ هذا الخطر الداهم؟ على أي أساس تقوم خشيتك هذه؟

■■ تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أن العالم العربي الإسلامي ليس مستعدا لتبني الحداثة، ولن يتحقق فيه العالم الذي تحلم به. ولذلك ترى أن تغييره ضروري، وأن تكيفه مع القيم الحداثية والأنساق السياسية والقانونية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية الغربية. وهي استراتيجية طويلة الأمد ومشروع كبير يسعى إلى تأمين إسرائيل من جيرانها في منطقة الشرق الأوسط وضمان استمرار وجودها، حيث ترى الولايات المتحدة أن تغيير الأنظمة العربية الإسلامية ونظمها القيمية سيسمح بهذا الأمر...

■ هل هو مخطط لفرض الهيمنة؟

■■ نعم. هو مخطط لفرض الهيمنة الأمريكية والقبول بإسرائيل، بل إن الأخطر من هذا كله هو سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى منع حصول أي نظام من أنظمة الشرق الأوسط، على الأقل، على السلاح النووي. ولذلك تسعى الآن بكل ما أوتيت من جهد إلى منع إيران من ذلك، وستمنع أية دولة في المنطقة تسعى للتسلح النووي، فيما تتجاهل الترسانة النووية الإسرائيلية تجاهلا تاما.

■ من جهة أخرى، تعتبر أن الإسلام في جوهره لا يشكل خطورة على ثقافة «الغرب» وحضارته، وهو رأي يخالف أغلب التصورات السائدة عند الأوربيين والأمريكيين. على أي أساس تبني هذا الاعتبار؟ إلى أي حد يمكن أن يقتنع «الغربيون» برأيك هذا، وهم الذين يخافون كل ما هو إسلامي، خاصة بعد 11 شتنبر؟

■■ أولا، الإسلام دين يقدم رؤية شاملة ومتميزة للعالم. وله تاريخ طويل، حيث ظهر في منطقة الشرق الأوسط. وقد انتشر كعقيدة انتشارا واسعا في الوقت الراهن. وهو في جوهره لا يتحدى الديانات الأخرى، بل يعترف بها ويقر بوجودها. ولا أعتبر أنه يشكل تهديدا طالما أني أرى، شخصيا، مجموعة من الناس يعتنقون هذا الدين، سواء في أوربا أو أفريقيا أو أمريكا.

في الغرب اليوم، يتخوف كثيرون من الإسلام نظرا للأعداد المتزايدة من المسلمين المهاجرين إلى أغلب دول أوربا مثلا، وهي مشكلة هجرة تتحمل مسؤوليتها القارة لأنها في حاجة إلى اليد العاملة المهاجرة لتنمية صناعاتنا. غير أن الغربيين يتجاهلون اليوم حقيقة مفادها أن كثيرين منهم يعتنقون الإسلام لأن هذا الدين استطاع أن يؤثر فيهم بفضل جوهره، لا بسلوكات معتنقيه. ولا أعتبر أنه يشكل تهديدا، إنما هذا الخوف من المهاجرين هو مجرد تحول على مستوى بنيات الساكنة. وهذا يحدث على مر التاريخ. في هذا السياق، يعلمنا التاريخ أن تحولات سوسيوثقافية تحدث في المجتمعات نتيجة الهجرة، لكن الدين لا يشكل تهديدا لها، وإن كان البعض ينظر إلى هذا الأمر كأنه يمثل اليوم خطرا على المجتمعات الغربية. غير أنه قد يعتبر تهديدا إذا استمر الغرب في تبني السياسة الكولونيالية الجديدة تجاه العالم الإسلامي.

■ شهد الغرب تحولا خطيرا في إثارة العالم الإسلامي، حيث لم تعد الحكومات واللوبيات تثير مشاعر المسلمين، بل أضحى الأفراد هم الذين يقومون بهذه المهمة، وهو ما تمثل، بالخصوص، في لوحات الرسام الدانماركي ومحاضرة بابا الفاتيكان «بينيديكت السادس عشر»...

هانس كوشلر

■■ أعتقد أن هذا الأمر خطير لأن البابا، في محاضرته، ضخم الصور النمطية اللصيقة بالمسلمين. فالبابا لا يعتبر شخصا عاديا، بل هو رمز الكنيسة الكاثوليكية ورئيسها، وأقواله تنتشر في العالم كله وتؤخذ على محمل الجد. ولهذا، إذا أصدر البابا حكم قيمة، فإنه يصير دعاية تدغدغ الشعور في صف وتثير الحقد في الصف الآخر. فهذه تشكل نوعا من التشريب الإيديولوجي، الذي يتوخى خلق الكراهية تجاه النبي محمد، مثلا، عن طريق الرسوم. ولا زال هذا الأمر مستمرا: إذا كنت تتابع الأعمال السينمائية، سترى أن سياسيا هولنديا، وهو محسوب على التيار اليميني المتطرف، أنتج فيلما عنوانه «فتنة» ضد الإسلام، وهو نوع من الدعاية...

■ هل هي دعاية تسعى إلى طمس صورة الإسلام وخلق شعور بين الناس هدفه اعتبار الإسلام دين إرهاب وتطرف؛ ومن ثمة، ضرورة محاربته والاحتماء منه؟ وما الهدف من ذلك؟

■■ يسعى السياسيون في بلادنا الأوربية إلى زرع الخوف من الإسلام بين المواطنين. ويهدفون إلى استغلال هذا الخوف في برامجهم ومصالحهم السياسية. مثلا، ما يسعى إليه هذا السياسي الهولندي، الذي ينتمي إلى حزب صغير، هو الحصول على أصوات الناخبين واحتلال كرسي في البرلمان. وقد رأينا مثالا مماثلا في النمسا، حيث لجأ أحد المرشحين إلى رزع الرعب في المواطنين النمساويين ودعوتهم إلى الاحتياط من المهاجرين الأتراك. وقد نجح في ذلك باستغلال ملصقات تصور منارة الكنيسة وصومعة المسجد. فالإشارة السياسية من خلال هذه الملصقات تعني الاختيار بين شيئين لا ثالث لهما، حيث تعتمد هذه الإشارة على خلق الرعب في صفوف الناخبين.

■ لكن المسألة تتعدى أحيانا هذا الاستغلال المبيت وهذا التخويف إلى تبني سياسات وقوانين واضحة مثلما هو الشأن في فرنسا وقانون منع الرموز الدينية في المدارس. كيف تنظر إلى التأكيد على منع الحجاب؟

■■ أعتقد أن المسألة مماثلة. لكني أرى أن مسألة الحجاب تستغلها الأحزاب السياسية لأغراضها ومصالحها. ففي النمسا، غالبا ما تشير الطبقة السياسية إلى النموذج الفرنسي، لكنني أقول إن علينا احترام الإسلام والمسلمين في إطار اعترافنا بالتعدد الثقافي.

■ في سياق الاستفزازات المتكررة التي تثيرها بعض الأطراف في أوربا، هل تعتقد أن أوربا تحتاج إلى تأويل شامل وجديد للمسألة الثقافية؟

■■ أعتقد أننا في حاجة إلى ذلك. لكن المشكلة بالنسبة لدولنا تكمن، إلى حد ما، في كونها قوميات أحادية الثقافة: هناك المجتمعات الجرمانية الناطقة بالألمانية والمجتمعات الناطقة بالفرنسية، إلخ. غير أن الوضعية تغيرت منذ منتصف القرن العشرين، أي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أضحت المجتمعات الجرمانية تؤوي جالية تركية كبيرة، وصارت المجتمعات الفرنسية تضم مهاجرين من شمال أفريقيا. هذه الأقليات، التي هاجرت إلى أوربا، تمثل ثقافة أخرى وحضارة مغايرة. هكذا، لم تدرك أوربا بعد طريقة التعامل مع هذه الوضعية. إذ لا بد، في نظري، من التمييز بين ثلاثة مفاهيم هي: الجنسية والهوية القومية والمواطنة. فأوربا مطالبة اليوم بإعادة تنظيم الدولة والنظام السياسي والقانوني تنظيما يأخذ بعين الاعتبار أبعاد التعدد الثقافي. ولذلك أدعو أوربا في كل لقاءاتي وندواتي ومحاضراتي إلى دراسة نماذج دول لها باع طويل في احترام التعدد الثقافي كماليزيا وسنغافورة، اللتين تضمان أقليات هندية وصينية تعيش جنبا إلى جنب مع المسلمين..

أعتقد أن أوربا مطالبة باحترام هويات المهاجرين وثقافاتهم ونظمهم الاجتماعية. وبذلك تضمن اندماجهم في نمط الحياة الأوربي. فهي لن تستطيع أبدا أن تجعل منهم مواطنين أوربيين إلا إذا استطاعت أن تضمن التعايش. في نظري، لن يكون المهاجرون أوفياء للبلدان المستضيفة إلا إذا شعروا بالحرية الكاملة لممارسة ثقافاتهم. فالمسألة لا تتعلق باستيعاب المهاجرين وصهرهم في المجتمعات الأوربية، بل باندماجهم شريطة أن يكون هذا الاندماج قائما على الاحترام المتبادل وضمان فضاء تعدد ثقافي.

■ هل يمكن القول إن تدريس الإسلام في المدارس والجامعات الألمانية يعتبر استجابة لهذا المطلب؟

■■ تحدثت عن هذا المطلب منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة، حيث كانت فكرتي دائما أنه لا يمكن أن أفهم ذاتي وتراثي، الذي هو تراث روماني إغريقي، إلا إذا فهمت الديانات والحضارات الأخرى. ولذلك أعتبر أن إدماج الإسلام في مقررات التربية والتعليم في أوربا أمر مهم سيسمح بمعرفة الذات معرفة حقيقية من خلال مقارنتها بالآخر، وتجاوز خوف الأوربيين من الإسلام والمسلمين.

حاوره : محمد جليد